البنية التحتية والهيكل المؤسساتي لمنظمة التحرير الفلسطينية

د. سامي مسلّم

تهدف هذه الدراسة الى وصف البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ ويتشكل متنها من عرض لهياكلها واطرها المؤسسية وما يتوسطها من نظم تدفع بفاعليتها الجزئية، شديدة التنوع، للتشكل في حركية شمولية محدودة، كان من شأنها ان تؤهل هذه البنية لحمل حركة التحرر الوطني الفلسطيني والمضي بها قدماً الى حيث بلغت ما بلغته من مكانة سياسية، دولية رفيعة، وان تضعها، ايضاً، ازاء ضرورة التصدي لأخطار العدوان التي حاقت بمنظمة التحرير الفلسطينية، منذ اليوم الاول لتأسيها.

ان دور هذه البنية في تأطير وتنظيم النضال الفلسطيني والمضي به نحو انتصاره، هو، بالضبط، ما حث اعداء القضية الفلسطينية على تركيز جهدهم السياسي، والعسكري، على تقويض م.ت.ف. وهياكلها ومؤسساتها، كمدخل حتمي لتحجيم الفاعلية النضالية السياسية، والعسكرية، للشعب الفلسطيني؛ وهذا، بدوره، يشكل القناة الضرورية نحو طي صفحة الحقوق الفلسطينية حقبة من الزمن.

وبالفعل، فقد خاضت م.ت.ف. حروباً شتى فرضتها اسرائيل، والادارات الاميركية المتعاقبة، وأنظمة عربية معينة، ومنشقون فلسطينيون ايضاً. وعمل هؤلاء، جميعاً، على شطب م.ت.ف. من المعادلة السياسية في المنطقة، باعتبارها «الرقم الصعب» في هذه المعادلة، كما قال رئيسها مراراً وتكراراً.

لقد تعددت اشكال وسبل العدوان على م.ت.ف. بهدف تدميرها؛ واذ أُحبطت هذه المحاولات، كان لا بد من اتباع اساليب اخرى؛ غير ان الهاجس الرئيس لكل هذه الاساليب كان واحداً، ألا وهو تصفية القيادة الفلسطينية، جسدياً، باعتبار ذلك وسيلة لتدمير البنية التحتية للمنظمة، تدميراً كاملاً. ان هذا الاعتبار، تحديداً، يشكل عاملاً هاماً من عوامل احباط العدوان على م.ت.ف. أياً كان مصدره. فلقد تجاوز المعتدون حقيقة ما تنبني عليه المنظمة من قواعد راسخة وجذور عميقة في قطاعات الشعب الفلسطيني كافة، وما تتبوأه من موقع تتقاطع فيه الامتدادات العربية والدولية، يظللها، ويتيح لها، التجدد والتنامي، وهذا ما سنتناوله في الفصول اللاحقة.

لقد أعلنت اسرائيل ان تدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية كان أحد أهم أهدافها من غزو لبنان خلال صيف العام ١٩٨٢[1]. واذا كان الغزو فشل في الحاق اضرار خطيرة بالجسم الاساسي للمنظمة، وارتد ليستدرج اسرائيل نحو اكثر الأزمات خطورة، فان قادتها العسكريين لم يكفّوا عن المحاولة، فكان قصف مقر م.ت.ف. في حمام الشط (من الضواحي الجنوبية للعاصمة التونسية) في الاول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٥، بهدف اغتيال رئيس م.ت.ف. ياسر عرفات،